اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير في سور: (الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد) دراسة تفسيرية مقارنة

الباحثة: منال بنت عبد الله بن محمد جمعة
حاصلة على الماجستير في التفسير وعلوم القرآن
من جامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية
Manal٣٣٣za@gmail.com

ملخص البحث

من علماء الأمة الذين خدموا القرآن الكريم وعلومه، وأفنوا أعمارهم في تدبره ودراسته واستخراج كنوزه وأسراره: الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهَيْلي المتوفى سنة (٥٨١هـ)، صاحب التصانيف المفيدة، التي سارت بها الركبان، وانتفعت بها البلدان، والتي ضمنها كثيرا من اختياراته في تفسير آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، لا سيما: "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، و"الفرائض وشرح آيات الوصية"، و"نتائج الفكر في النحو"، و"التعريف والإعلام"، وغيرها. ولمنزلة أقواله في التفسير نقلها كثير من المفسرين في تفاسيرهم: كالقرطبي، وابن جزيء، وأبي حيان، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن القيم، وابن عادل الحنبلي، وابن عرفة، والخطيب الشربيني، وغيرهم.

ويهدف هذا البحث إلى جمع اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير من خلال ما سطره في مؤلفاته من تفسير لآيات من سور: "الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد". ودراستها دراسة تفسيرية ومقارنتها بأقوال العلماء؛ إبرازا لقيمتها العلمية، ووصولا إلى أولى ما يصح أن تحمل عليه النصوص القرآنية. كما يهدف إلى بيان جانب من جهود الإمام السُّهَيْلي في التفسير وعلوم القرآن.

وقد قام البحث ثلاثة مناهج: هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن. وتوصل إلى العديد من النتائج، وأهمها: أن الإمام السُّهَيْلي - رحمه الله – عالم متبحر، ومفسر محقق، له نظر ثاقب واستنباط دقيق، وتوجيهات سديدة. وأنه اعتمد السُّهَيْلي في اختياراته التفسيرية على أسس علمية متينة، قوامها حسن التدبر، وعمادها الأدلة المعتبرة. وأنه لم يكتف السُّهَيْلي بما يظهر من جلي معاني القرآن الكريم، وإنما كان غواصا ماهرا يبحث عن اللطائف والدقائق والفوائد.

الكلمات المفتاحية: اختيارات السهيلي - التفسير – الكوثر – الكافرون - النصر - المسد.

Imam Suhayli's Interpretations of the Quran: A Comparative Study of His Exegesis of the Surahs: Al-Kawthar, Al-Kafirun, An-Nasr, and Al-Masad

Prepared by:
Researcher: Manal bint Abdullah bin Muhammad Juma
Master's degree holder in interpretation and Qur'anic sciences from Tabuk University in the Kingdom of Saudi Arabia
Manal٣٣٣za@gmail.com

ABSTRACT

Among the scholars of the Islamic community who dedicated their lives to serving the Holy Quran and its sciences, and who devoted their time to its contemplation, study, and exploration of its treasures and profound meanings, was Imam Abu al-Qasim Abd al-Rahman ibn Abdullah ibn Ahmad al-Suhaili (d. ٥٨١ AH). He authored many valuable works, which became widely circulated and benefited scholars and communities throughout the Islamic world. These works included his extensive commentaries on numerous verses of the Holy Quran, most notably "Al-Rawd al-Anf" (a commentary on Ibn Hisham's biography of the Prophet), "Al-Farayid wa Sharh Ayat al-Wasiyyah" (a commentary on the verses concerning inheritance), "Nataij al-Fikr fi al-Nahw" (a work on grammar), and "Al-Ta'rif wa al-I'lam," among others. Many later commentators, such as al-Qurtubi, Ibn Juzayy, Abu Hayyan, Ibn Kathir, al-Samin al-Halabi, Ibn Qayyim, Ibn Adil al-Hanbali, Ibn Arfa, and al-Khatib al-Sharbini, frequently quoted his interpretations of the Quran in their own works.

This research aims to compile Imam Suhayli's interpretations of verses from the Quranic suras "Al-Kawthar," "Al-Kafirun," "An-Nasr," and "Al-Masad," as found in his writings. It will then analyze these interpretations and compare them with the views of other scholars, highlighting their scholarly value and determining the most accurate interpretations of these Quranic verses. Furthermore, the research aims to shed light on Imam Suhayli's contributions to Quranic exegesis and the sciences of the Quran.

The research employed three methodologies: inductive, analytical, and comparative. It yielded several findings, the most important of which are: Imam al-Suhaili (may God have mercy on him) was a profound scholar and a meticulous interpreter of the Quran, possessing keen

insight, meticulous reasoning, and sound guidance. He based his interpretations on solid scholarly foundations, emphasizing careful reflection and relying on valid evidence. Furthermore, al-Suhaili did not merely focus on the surface meanings of the Quran; he was a skilled researcher who delved deeply into its subtle nuances and profound insights.

Keywords: Al-Suhaili's interpretations - Quranic exegesis - Al-Kawthar - Al-Kafirun - Al-Nasr - Al-Masd.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن الله تعالى قد شرف ثلة من أعلام الأمة بخدمة كتابه الكريم، فأفنوا أعمارهم في تدبره ودراسة علومه واستخراج كنوزه وأسراره، امتثالا للأمر الإلهي: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، وعملا بالتوجيه الإلهي: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

ومن هؤلاء الأعلام: الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهَيْلي المتوفى سنة (٥٨١هـ)، صاحب التصانيف المفيدة، التي سارت بها الركبان، وانتفعت بها البلدان، والتي ضمنها كثيرا من اختياراته في تفسير آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، لا سيما: "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، و"الفرائض وشرح آيات الوصية"، و"نتائج الفكر في النحو"، و"التعريف والإعلام"، وغيرها.

ولمنزلة أقواله في التفسير نقلها كثير من المفسرين في تفاسيرهم: كالقرطبي، وابن جزيء، وأبي حيان، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن القيم، وابن عادل الحنبلي، وابن عرفة، والخطيب الشربيني، وغيرهم.

وجمعها من مؤلفاته مرتبة على سور القرآن الكريم عالمان معاصران، هما: الدكتور/ كيان أحمد حازم يحيى في كتابه: "الجامع لتفسير الإمام أبي القاسم السُّهَيْلي"، والشيخ/ عبد الرحمن القماش في كتابه: "تفسير السُّهَيْلي"، فجزاهما الله تعالى خير الجزاء.

ولما كان هذا الجمع يحتاج إلى الدراسة والتحليل والمقارنة؛ فقد انبرى عدد من الباحثين والباحثات في جامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية بدراسة اختياراته في التفسير دراسة تفسيرية مقارنة، وكانت رسالتي للماجستير آخر هذه السلسلة البحثية المباركة – تقبلها الله تعالى بقبول حسن -؛ حيث تضمنت دراسة اختياراته في التفسير من سورة الإنسان حتى سورة الناس. وهذا البحث الماثل بين أيدينا جزء من رسالتي، ضمنته بعضا من اختياراته التفسيرية في سور: (الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد) وسميته: (اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير في سور "الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد"، دراسة تفسيرية مقارنة)

أهداف البحث: وتتمثل في الآتي:

١- جمع اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير من خلال ما سطره في مؤلفاته من تفسير لآيات من سور: (الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد).

٢- دراسة اختياراته التفسيرية ومقارنتها بأقوال العلماء؛ إبرازا لقيمتها العلمية، ووصولا إلى أولى ما يصح أن تحمل عليه النصوص القرآنية.

٣- بيان جانب من جهود الإمام السُّهَيْلي في التفسير وعلوم القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث الدقيق لم أعثر على دراسة علمية بهذا العنوان، ولكني عثرت على دراسات بعيدة عن محتوى هذا البحث الحالي، ومن ذلك:

١- علوم القرآن عند الإمام السُّهَيْلي (٥٨١هـ) من خلال كتابه الروض الأنف، للباحث/عبد العزيز ايت مالك، بدون طبعة، ٢٠٠٦م.

٢- اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة آل عمران، رسالة ماجستير للباحث: عايد بن سليمان البلوي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.

٣- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) في التفسير، من سورة الأنفال حتى سورة هود، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: فوزية بنت فريج منور البلوي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.

٤- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت ٥٨١هـ) في التفسير من سورة يوسف حتى سورة النحل، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: حنان بنت عواد صالح البلوي، بجامعة تبوك، ٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م.
٥- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت ٥٨١هـ) في التفسير من سورة الإسراء حتى سورة مريم جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: عنود بنت عبد الكريم غزاي المطيري، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.
٦- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) في التفسير، من سورة طه حتى سورة النور، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: مريم بنت عبد الله سالم العطوي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.
٧- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) في التفسير، من سورة الفرقان حتى سورة الأحزاب، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: سارة بنت فالح راضي الرحيلي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.
٨- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت ٥٨١هـ) في التفسير من سورة سبأ حتى سورة الزمر جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: بسماء بنت إبراهيم عيد العنزي. بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.
٩- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) في التفسير، من سورة غافر حتى سورة الرحمن، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحث: أيمن أحمد عكران عواجي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٤م.
١٠- اختيارات الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) في التفسير، من سورة الواقعة حتى سورة القيامة، جمعا ودراسة، رسالة ماجستير للباحث: حسام حسن محمد حمزي، بجامعة تبوك، عام ٢٠٢٣م.
** وظاهر من عناوين الدراسات السابقة أنها بعيدة عن محتوى البحث الحالي.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث ثلاثة مناهج: الأول: المنهج الاستقرائي، حيث تم جمع اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير مما بثه في كتبه تفسيرا لآيات من سور (الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد). والثاني: المنهج التحليلي، حيث تم تحليل اختياراته وما أحاط بها من أدلة أو توجيهات. والثالث: المنهج المقارن، حيث تم مقارنة اختياراته بأقوال أهل العلم في تلك المواضع، لبيان قيمتها العلمية، وللوصول إلى أولى ما يصح أن تحمل عليه النصوص القرآنية.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، ومطلبين، وخاتمة.
المقدمة: في بيان أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.
المطلب الأول: ترجمة موجزة عن الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) رحمه الله.
المبحث الثاني: اختيارات السهيلي في التفسير في سور (الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد) دراسة تفسيرية مقارنة.
الخـــاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول
ترجمة موجزة عن الإمام السُّهَيْلي (ت٥٨١هـ) رحمه الله

أولاً: اسمه، ونسبه، ومولده:

أما اسمه: فهو الإمام العلامة الحافظ النحوي الإمام الحبر أبو القاسم، وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح. ويكنّى أيضا: بأبي الحسن، ابن الخطيب أبي محمد ابن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن الخثعمي السُّهَيْلي، المالَقي، الأندلسي(١).

وأما نسبه: فقد نُسِب الإمام السُّهَيْلي إلى بلدته "سهيل"، التي نشأ وتربي فيها، ونسب إلى (مَالَقة) أيضا؛ لأنه بها نشأ، وبها تعرَّف، وفي أكنافها تصرَّف؛ حتى بزغت في البلاغة شمسه، ونزعت به إلى مطامح الهمم نفسه(٢).

وأما مولده: فقد أجمعت كتب التراجم، على أنَّ الإمام السُّهَيْلي - رحمه الله - كانت ولادته بالأندلس، سنة ثمان وخمسمائة للهجرة (٥٠٨هـ)، في "سُهَيْل" وهذه قرية تابعة لإقليم (مَالَقة)(٣) بفتح الميم؛ وسميت " سُهَيْل" بهذا الاسم؛ نسبة إلى الكوكب المسمى بـــ "سُهَيْل"(٤)؛ لأنه لا يُرى في جميع الأندلس إلا من جبل مُطِلٍّ عليها(٥).

ثانيا: رحلاته في طلب العلم:

أجمعت كتب التراجم التي ترجمت لأبي القاسم السُّهَيْلي- رحمه الله - على أنَّه نشأ وترعرع في بيئة علمية حافلة في بلده (مالقة) بالأندلس، لأنها كانت تحظى في هذا الوقت بنشاط علمي كبير، وأن هذه النشأة مع ما وهبه الله له من استعداد عقلي وروحي؛ قد هيأته لأنْ ينال من العلم النصيب الأوفر(٦)، حتى اشتهر بالذكاء والنبوغ والنباهة وتصدَّى للتدريس والحديث والإقراء، وعُرِفَ بصِيته، وارتفع قَدْره، ولما عَرَفَ عنه والي مراكش بالمغرب العربي استدعاه إليه وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة(٧).

رابعا: شيوخه وتلاميذه:

أما شيوخه:

فقد ذكرت كتب التراجم منهم(٨): أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي، وأبو عبد الله محمد بن سليمان، المعروف بابن أخت غانم اللغوي، وأبو محمد عبد الرشيد المالقي؛ خال أبيه، الفقيه المحدث الخطيب، وأبو الحسين بن الطراوة الشيباني، وأبو القاسم بن الرماك، وأبو بكر بن العربي، وأبو عبد الله محمد بن نجاح الذهبي القرطبي.

وأما تلاميذه:

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٢/ ٧٣١.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية: ص٢٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٢/ ٧٣١.

(٣) مَالَقة: بفتح الميم واللام، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. معجم البلدان لياقوت الحموي: ٥/ ٤٣.

(٤) سُهيل: قرية من قرى الأندلس تابعة لمالقة. معجم البلدان، لياقوت الحموي: ٣/ ٢٩١.

(٥) المطرب لابن دحية: ص٢٣٠، وتاريخ الإسلام: ١٢/ ٧٣١.

(٦) المطرب: ص٢٣٠- ٢٣٢.

(٧) المطرب: ص٢٣٢، وتاريخ الإسلام: ١٢/ ٧٣١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ١/ ٤٦.

(٨) المطرب: ص٢٣٠- ٢٣٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ٩٦، ٩٧، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب: ٣/ ٣٦٣، ٣٦٤.

فقد ذكرت كتب التراجم منهم(١): أبو الخطاب بن دحية الكلبي، وأبو الحسين بن السراج، وأبو محمد القرطبي، وأحمد بن عميرة الضبي، وأبو محمد بن غَلْبُونُ.

خامسا: مؤلفاته:

ترك الإمام السُّهَيْلي – رحمه الله - جملة من المصنفات الثمينة التي أودع فيها كثيرا من دقائقه واستنباطاته في تفسير القرآن الكريم، وانتفع الناس بها، وسارت بها الركبان، ومنها(٢):

- التعريف والإعلام بما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم.
- نتائج الفِكَر في النحو.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام.
- أمالي السُّهَيْلي في النحو واللغة والحديث والفقه.
- الفرائض وشرح آيات الوصية.
- مسألة خروج اللفظ عن أصله لما دخله من المعنى في ضمنه.
- مسألة رؤية الله تعالى ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام.

سادسا: وفاته:

توفي الإمام السُّهَيْلي في مراكش بالمغرب العربي يوم الخميس الموافق السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة النبوية، عن ثنتين أو ثلاثًا وسبعين سنة(٣)، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة.

سابعا: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

الإمام السُّهَيْلي – رحمه الله - عَلَمٌ كبير من أعلام الأمة الذين أفنوا حياتهم في خدمة القرآن الكريم، وآثاره العلمية شاهدة بهذا، كما أكد ذلك كل من ترجموا له:

- فقد أثنى عليه ابن العماد الحنبلي، فقال: "كان واسع المعرفة، غزير العلم، نحويًا متقدمًا لغويًا، عالما بالتفسير، وصناعة الحديث، عارفًا بالرّجال وبالتاريخ، ذكيا نبيهًا، صاحب استنباطات"(٤).
- وأثنى عليه أبو جعفر الضبي، فقال: "محدث أديب نحوي لغوي علّامة حدَّث بمالقة، وانتشرت تواليفه، وهي دالة على علمه وذكائه، وكان مكفوف البصر"(٥).
- وأثنى عليه ابن الأبار، فقال: "وكان عالما بالقراءات واللغات والعربية وضُروب الآداب حافظا للسير والأخبار والأنساب، إماما في الحفظ والذكر والإدراك مقدما في الفهم والفطنة والذكاء، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون العلم، يغلب عليه علم العربية والغريب وتصدَّر للإقراء والتدريس وإسماع الحديث"(٦).
- وأثنى عليه الحافظ ابن كثير، فقال: "واشتغل وحصل حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته، وكان ضريرا مع ذلك"(٧).

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٤/ ٩٦، ٩٧، والإحاطة في أخبار غرناطة: ٣/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) المطرب: ص٢٣٦– ٢٣٨، والإحاطة في أخبار غرناطة: ٣/ ٣٦٣، ٣٦٤، ونكت الهميان في نكت العميان للصفدي: ١/ ١٦٨، ١٦٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٥/ ١٤٧، والجامع لتفسير الإمام أبي القاسم السُّهَيْلي للدكتور/ كيان أحمد يحيى: ص١٤– ١٦.

(٣) المطرب: ص٢٣٣، وتاريخ الإسلام: ١٢/ ٧٣١.

(٤) شذرات الذهب: ١/ ٤٦.

(٥) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر الضبي: ١/ ٣٦٧.

(٦) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار: ٣/ ٣٢.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ٣١٨.

- وأثنى عليه الإمام السيوطي، فقال:" كان إماما في لسان العرب واسع المعرفة غزير العلم نحوياً متقدما لغويا عالما بالتفسير وصناعة الحديث عارفا بالرجال والأنساب، عارفا بعلم الكلام وأصول الفقه عارفا بالتاريخ، ذكيا نبيها صاحب استنباطات"(١).

- وأثنى عليه لسان الدين ابن الخطيب، فقال: "كان مقرئا مجوّدا، متحققا بمعرفة التفسير، غواصا على المعاني البديعة، ... محدّثا واسع الرّواية، ضابطا لما يحدّث به، حافظا متقدما، ذاكرا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرّزا في الفهم، ذكيّا، أديبا، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، نحويا، عارفا، بارعا، يقظا، يغلب عليه علم العربية والأدب"(٢).

- وأثنى عليه تلميذه أبو الخطاب ابن دحية الكلبي، فقال: "كان - رحمه الله - أقام للتصريف وعلل النحو برهانا، وتيم ألبابا وأذهانا، ... وأفاض على الطلبة من سجله، وجلب على النحاة بخيله ورجله ... قرأت عليه وسمعت كثيرا من أماليه التي أملاها في معاني الكتاب العزيز وأنواره، ودقائق النحو وأسراره، وغوامض علم الأصول وأغواره"(٣).

- - وأثنى عليه أبو جعفر بن الزبير، فقال: "كان السُّهَيْلي واسع المعرفة، غزير العلم، نحويا متقدما، لغويا، عالما بالتفسير، وصناعة الحديث، عارفا بالرجال، والأنساب، عارفا بعلم الكلام، وأصول الفقه، حافظا للتاريخ القديم والحديث، ذكيا نبيها، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة"(٤).

- وأثنى عليه الدكتور/ كيان أحمد يحيى، الذي جمع أقواله في التفسير من سائر كتبه، فقال:" وقد وقفتُ في مؤلفات السُّهَيْلي المختلفة على ما يشبه الهاجس الواضح والإلحاح البيّن في شخصيته العلمية على عدم تفويت فرصة سانحة للحديث في التفسير، وتناول آية أو مجموعة آيات في مختلف السياقات التي يعالجها، بما يلائم طبيعة الكتاب الذي يؤلفه أو الموضوع الذي يصنف فيه؛ فإن أعمل قلمه في النحو جاء تفسيره مشبعا بالتحليلات النحوية الدقيقة؛ وإن كتب في السيرة النبوية وجدته يسوق في تفسيره من أخبارها ورواياتها ما يوضح الآيات المفسرة ويجليها، وإن ألف في المبهمات، ألفيته يحاول الكشف عن غوامض ما وقع في القرآن من أسماء وأعلام؛ وإن صنف في الفقه والفرائض أبصرته يدير دفة التفسير بما يتيح له تجلية حكم التشريع ومقاصده ... قد وجدته في معظم ما كتب في التفسير، ذا شخصية واضحة، حريصا على أن يكون له حضور في ما يختار من أقوال ويؤثر من ترجيحات، طويل النفس في عرض حججه ومحاكمة حجج مخالفيه، زيادة على ما انماز به من مزج ثقافته اللغوية النحوية بمعرفته المنضبطة، ودرايته الحديثية الدقيقة، وقدرته الفقهية والأصولية السديدة، إلى غير ذلك من أدواتٍ قلما ظهرت متناغمة منسجمة في شخصية علمية كما ظهرت عند السُّهَيْلي" أ.هـ(٥).

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي: ص٤٨١.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٣/ ٣٦٣.

(٣) المطرب لابن دحية الكلبي: ١/ ٢٣٣، ١٣٣.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ٩٦، ونقله السيوطي في طبقات الحفاظ: ١/ ٤١٨.

(٥) الجامع لتفسير الإمام أبي القاسم السُّهَيْلي: ص١٢- ١٣.

المبحث الثاني
اختيارات السهيلي في التفسير في سور:
(الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد)
دراسة تفسيرية مقارنة

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول
اختياره في تفسير قوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) [الكوثر: ١]
المراد بالكوثر

بعد أن بيَّن السهيلي أن سبب نزول سورة الكوثر هو الرد على العاص بن وائل لما قال: أَصبَحَ مُحَمَّدٌ أَبتَرَ مِن ابنِهِ، فَأَنزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[الكوثر: ١] عِوَضًا يا مُحَمَّدُ مِن مُصيبَتِكَ بِالقاسِمِ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[الكوثر: ٢، ٣]، قال رحمه الله:

"... فهم – أي أزواجه صلى الله عليه وسلم – وجميع المؤمنين أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وأتباعه في الآخرة إلى حوضه، وهذا مَعنى الكَوْثَرِ، وهُوَ مَوجودٌ في الدُّنيا لِكَثرَةِ أَتباعِهِ فيها، لِيُغَذِّيَ أَرواحَهُم بِما فيهِ حَياتُهُم مِن العِلمِ، وكَثرَةِ أَتباعِهِ في الآخِرَةِ لِيَسقِيَهُم مِن حَوضِهِ ما فيهِ الحَياةُ الباقِيَةُ، وعَدُوُّ اللهِ العاصُ عَلى هذا هُوَ الأَبتَرُ عَلى الحقيقَةِ، إذ قَد انقَطَعَ ذَنَبُهُ وأَتباعُهُ، وصاروا تَبَعًا لِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، وَلذلِكَ قُوبِلَ تَعيِيرُهُ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِالبَتْرِ بِما هُو ضِدُّهُ مِن الكَوثَرِ؛ فإنَّ الكَثرَةَ تُضادُّ مَعنى القِلَّةِ، وَلَو قالَ في جَوابِ اللَّعينِ: إنّا أَعْطَيناك الحَوضَ الذي مِن صِفَتِهِ كَذا وَكَذا لَم يَكُن رَدًّا عَلَيهِ، ولا مُشاكِلًا لِجَوابِهِ، ولكِنْ جاءَ بِاسْمٍ - الكَوْثَرِ - يَتَضَمَّنُ الخَيرَ الكَثيرَ؛ والعَدَدَ الجَمَّ الغفِيرَ المُضادَّ لِمَعنى البَترِ، وَأَنَّ ذلِكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ بِسَبَبِ الحَوضِ المَوردِ الذي أَعطاهُ، فلا يَختَصُّ لَفظُ الكَوثَرِ بِالحَوضِ، بَل يَجمَعُ هذا المَعنى كُلَّهُ، ويَشتَمِل عَلَيهِ، ..."[(١)].

الدراسة:

يرى الإمام السهيلي أن الكوثر الذي أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ليس مقصورا على الحوض، وإنما هو متضمن للخير الكثير والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البتر، ومن ذلك أتباعه صلى الله عليه وسلم في الدنيا وأتباعه في الآخرة إلى حوضه.

** وللعلماء في المراد بالكوثر الذي أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم أقوال كثيرة، أذكر منها ما يأتي:

القول الأول: أنه نهر أعطاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة؛ وهو قول أكثر المفسرين[(٢)].

وحجتهم: تواتره عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٣/ ٤٠٤- ٤٠٧.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢٤/ ٦٤٥، ٦٤٦، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ١٦٧/٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢٩٠/٦، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠١/٣، ومعالم التنزيل للبغوي: ٥/ ٣١٣، ٣١٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢١٦/٢٠، ولباب التأويل للخازن: ٣٠٠/٧، والسراج المنير للخطيب الشربيني: ٥٩٥/٤، ٥٩٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ١٠/ ٥٥٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ٤٧٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٥٢١/٢٠، وفتح القدير للشوكاني: ٥/ ٦١٤، ٦١٥، وروح المعاني للآلوسي: ٢٤٤/٣٠، وغيرها.

فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بَيْنَمَا أنا أَسِيرُ في الْجَنَّةِ إذا أنا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قلت ما هذا يا جِبْرِيلُ قال هذا الْكَوْثَرُ الذي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فإذا طِينُهُ أو طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ شَكَّ هُدْبَةُ)(١).

وأخرج أيضا عن أنس رضي الله عنه في حديث المعراج مرفوعا: (ثُمَّ مَضَى بِهِ في السَّمَاءِ فإذا هو بِنَهَرٍ آخَرَ عليه قَصْرٌ من لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فإذا هو مِسْكٌ أَذْفَرُ، قال: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا الْكَوْثَرُ الذي خَبَأَ لك رَبُّكَ)(٢).

وأخرج أيضا عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: (لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إلى السَّمَاءِ قال: أَتَيْتُ على نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فقلت: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا الْكَوْثَرُ)(٣).

قال الطبري: "وأولى الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره. وإنما قلنا ذلك أوْلى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك"(٤).

وقال الشوكاني: "فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة، فيتعين المصير إليها، وعدم التعويل على غيرها، وإن كان معنى الكوثر: هو الخير الكثير في لغة العرب، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي"(٥).

القول الثاني: أنه حوض أعطاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الموقف يوم القيامة؛ ذكره جمع المفسرين(٦).

وحجتهم: تواتره عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حيث أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بَيْنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[الكوثر: ١ – ٣]، ثُمَّ قال: أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم، فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ). زَادَ بن حُجْرٍ في حَدِيثِهِ: (بين أَظْهُرِنَا في الْمَسْجِدِ) وقال: (ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ)(٧).

وقد جمع الرازي بين هذين القولين (الأول والثاني)؛ حيث قال: "لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض، فيكون ذلك الحوض كالمنبع"(٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر): ٨/ ١٢٠، ح(٦٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما): ٩/ ١٤٩، ح(٧٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكوثر: ٦/ ١٧٨، ح(٤٩٦٤).

(٤) جامع البيان: ٢٤/ ٦٤٩.

(٥) فتح القدير: ٥/ ٦١٦.

(٦) جامع البيان: ٢٤/ ٦٤٦، ٦٤٧، والكشف والبيان للثعلبي: ١٠/ ٣٠٩، والنكت والعيون للماوردي: ٦/٣٥٤، وزاد المسير لابن الجوزي: ٩/ ٢٤٩ والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ٢/ ٥١٧، والسراج المنير للخطيب الشربيني: ٤/ ٥٩٥، ٥٩٦، ولباب التأويل: ٧/ ٣٠١ – ٣٠٤، وفتح القدير: ٥/ ٦١٥، ٦١٦.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: حجة من قال إن البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: ١/٣٠٠، ح(٤٠٠).

(٨) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣١٣.

وقال القرطبي: "أصح هذه الأقوال الأوّل (أي النهر) والثاني (أي الحوض)؛ لأنه ثابت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نصا في الكوثر. وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أُعْطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً"(١).

القول الثالث: أن ه الخير الكثير، أي كل خير أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وهو مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختيار السهيلي، وجمع من أهل اللغة والمفسرين(٢).

وحجتهم: تواتره عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم، وموافقته لمعنى الكوثر في اللغة.

- أما تواتره عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم، فقد أخرج البخاري عن أبي بِشْرٍ وَعَطَاءُ بن السَّائِبِ عن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عن بن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: (الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الذي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ، قال أبو بِشْرٍ: قلت لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ في الْجَنَّةِ: فقال سَعِيدٌ: النَّهَرُ الذي في الْجَنَّةِ من الْخَيْرِ الذي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ)(٣).

قال ابن عطية: "فنعم ما ذهب إليه ابن عباس، ونعم ما تمم ابن جبير رضي الله عنهم"(٤).

وقال الطاهر بن عاشور: "فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فُسر به وأضبطُه"(٥).

- وأما موافقته لمعنى الكوثر في اللغة(٦)؛ فلأن لفظ (الكَوْثر) صيغة مبالغة من الكثرة، على وزن (فَوْعَل)؛ مثل النَّوْفَل من النَّفْل، فالكوثر: المفرط في الكثرة، والعرب تسمي كل شيء كثيرٍ في العدد والقدر كوثراً، ولهذا يقال للرجل الكثير العطاء: كَوْثَرٌ، قال الكُمَيْت في مدح عبد الملك بن مروان:

وأنت كَثيرٌ يا ابنَ مروان طيبٌ *** وكان أبوك ابنُ العقائلِ كَوْثَرًا(٧)

القول الرابع: أنه القرآن الكريم؛ وهو قول الحسن(٨).

القول الخامس: أنه الإسلام؛ وهو قول المغيرة بن شعبة(٩).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢١٨.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٩٥، وغريب القرآن لابن قتيبة: ص٥٤٠، ٥٤١، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٩٨/٥، ولسان العرب لابن منظور: ١٣٣/٥، مادة كثر، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠١/٣، والكشاف للزمخشري: ٨١٢/٤، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٥٢٩/٥، ومفاتيح الغيب للرازي: ١٢٦/٣٢، ومدارك التنزيل للنسفي: ٣٦٠/٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ٤/ ٥٣٣، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢٠٥/٩، والدر المصون للسمين الحلبي: ١٢٦/١١، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٥٧٢/٣٠، ٥٧٣، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٦٩٠/١٦، ١٦٩١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: في الحوض وقول الله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر): ٨/ ١١٩، ح(٦٥٧٨).

(٤) المحرر الوجيز: ٥٢٩/٥.

(٥) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٥٤٠، ٥٤١، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٩٨/٥، والمفردات في غريب القرآن للراغب: ص٤٢٧، ولسان العرب: ١٣٣/٥، مادة كثر، والكشف والبيان: ٣٠٧/١٠، والكشاف: ٨١١/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢٩/٥، ومفاتيح الغيب: ١١٠/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٦/٢٠، وأنوار التنزيل: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط: ٨/ ٥٢٠، وفتح القدير: ٥٠٢/٥، والتحرير والتنوير: ٥٧١/٣٠، وغيرها.

(٧) البيت للكميت بن زيد الأسدي، ينظر: ديوانه: ص١٧٧.

(٨) الكشف والبيان: ١٠/ ٣١٠، والنكت والعيون: ٦/ ٣٥٤.

(٩) المصدران السابقان: نفس الموضعين.

القول السادس: أنه كثرة الأصحاب والأتباع؛ وهو قول أبي بكر بن عياش[١].

القول السابع: أنه الإيثار؛ وهو قول ابن كَيْسان[٢].

القول الثامن: أنه الشفاعة؛ وهو قول جعفر الصادق[٣].

القول التاسع: أنه رِفعة الذكر؛ ذكره الماورديّ[٤]؛ أي: الواردة في قوله تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح: ٤].

الاختيار:

أرى – والله أعلم – أن الأوْلى هو القول الثالث، وهو أن الكوثر: الخير الكثير، أي كل خير أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وذلك لما يأتي:

أولا: أنه موافق للغة العرب.

ثانيا: أنه قول عام يشمل كل الأقوال بما فيها النهر أو الحوض، وكل ما ذكره المفسرون مما لم أذكره هنا.

ثالثا: صحة الخبر به عن ابن عباس وسعيد ابن جبير رضي الله عنهما، وبيانهما عدم المنافاة بين تفسيره بذلك وبين تفسيره بالنهر أو الحوض، على ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الشهاب الخفاجي: "تفسير الكوثر بالنهر على ما جاء في حديث مسلم لا ينافي تفسيره بالخير الكثير، حتى يقال إذا صح هذا الحديث فكيف يصح تفسيره بغيره؟؛ لأنّ المفسرين يجعلون ما ذكر تمثيلا، وقد بينه ابن عباس رضي الله عنهما لما فسره بالخير الكثير، فقيل له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم فسره بالنهر المذكور، فقال: وهو من الخير الكثير أيضاً، ومثله لا يقال من قبل الرأي"[٥]. والله أعلم.

****

(١) المصدران السابقان: نفس الموضعين.

(٢) المصدران السابقان: نفس الموضعين.

(٣) المصدران السابقان: نفس الموضعين.

(٤) النكت والعيون: ٦/ ٣٥٤.

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٨/٤٠٢. بتصرف يسير.

المطلب الثاني
اختياره في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [الكوثر: ٣].
السر في ذكر ضمير الفصل (هو)

قال الإمام السهيلي-رحمه الله-:

"قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[الكوثر: ١ – ٣]، وَلَم يَقُلْ: (إِنَّ شَانِئَكَ أَبْتَرُ)، لِيَتَضَمَّنَ اختِصاصَهُ بِهَذا الوَصفِ، لأَنَّ (هُوَ) في مِثل هَذَا المَوضِعِ تُعطي الاختِصاصَ، مِثل أَن يَقولَ قائلٌ: إِنَّ زَيدًا فاسِقٌ، فلا يَكونُ مَخصُوصًا بِهذا الوَصفِ دُونَ غَيرِهِ، فإِذا قُلْت: إِنَّ زَيدًا هُوَ الفَاسِقُ، فَمَعناهُ: هُوَ الفاسِقُ الذي زَعَمْت، فَدَلَّ عَلى أَنَّ بِالحضرَةِ مَن يَزعُمُ غَيرَ ذلِكَ، وهكَذا قالَ الجُرجانِيُّ(١) وغَيرُهُ في تَفسيرِ هذِهِ الآيَةِ: إِنَّ (هُوَ) تُعطي الاختِصاصَ. وكَذلِكَ قالُوا في قَولِهِ سُبحانَهُ: (وأنه هو أغنى وأقنى) [النجم: ٤٨]، لَمّا كانَ العِبادُ يَتَوَهَّمونَ أَنَّ غَيرَ اللهِ قَد يُغنِي، قالَ: هُوَ أَغنى وأَقنى، أَي: لَا غَيرُهُ"(٢).

الدراسة:

يرى السهيلي أن السر في ذكر ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣]: هو إفادة الاختصاص، أي القصر والحصر، والمعنى: إن شانئك هو المخصوص بالبتر.

** وقد اختلف العلماء في إعراب هذا الضمير وبيان السر في ذكره على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه مبتدأ، (والأبتر) خبره، والجملة خبر «إن»؛ ذكره جمع من أهل اللغة والمفسرين(٣).

قال السمين الحلبي: "قوله: (هو الأبتر) يجوز أن يكون «هو» مبتدأ، وخبره والجملة خبر «إن»(٤).

القول الثاني: أنه ضمير فصل جاء بين اسم "إن ﴿شَانِئَكَ﴾ والخبر: ﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، لإفادة الاختصاص؛ وهو اختيار السهيلي، وبعض من العلماء(٥).

قال أبو حيّان: "والأحسن الأعرف في المعنى أن يكون فصلا، أي هو المنفرد بالبتر المخصوص به، لا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجميع المؤمنين أولاده، وذكره مرفوع على المنائر والمنابر، ومسرود على لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر. يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكره صلى الله عليه وسلم، وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم"(٦).

القول الثالث: أنه للتوكيد؛ قاله أبو البقاء العكبري، وأجاز القولين الأولين.

حيث قال: "و(هو): مبتدأ، أو توكيد، أو فصل، والله أعلم"(٧).

---

(١) نص عليه الجرجاني في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/ ١٣٠٦، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني: ٦/ ٤٧٨، ومدارك التنزيل للنسفي: ٣/ ٦٨٦، والبحر المحيط: ١٠/٥٥٧، والدر المصون: ١١/ ١٢٩، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٢٣، والسراج المنير: ٤/ ٥٩٨، وروح المعاني للآلوسي: ١٥/ ٤٨٢.

(٤) الدر المصون ١١/ ١٢٦.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٣٠٦، والدر المصون: ١١/ ١٢٩، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٢٣، والسراج المنير: ٤/٥٩٨.

(٦) البحر المحيط: ١٠/ ٥٥٧.

(٧) التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٣٠٦.

وقد ردَّه السمين الحلبي بقوله: "وقال أبو البقاء: «أو توكيد» وهو غلط منه؛ لأن المظهَر لا يؤكد بالمضمَر"[١].

الاختيار:

يظهر - والله أعلم – أن القول الثاني، وهو قول السهيلي ومن وافقه، هو الأَوْلى بالقبول؛ لإفادته معنى الاختصاص، أي اختصاص شانئ النبي صلى الله عليه وسلم بالبتر، وهذا هو المناسب لسياق الآية الكريمة، لأنها في ذم شانئ النبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلى وأعلم.

(١) الدر المصون: ١١/ ١٢٩.

المطلب الثالث

اختياره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥].

السر في التعبير بـ (ما) بدل (مَنْ)، والأصل في (ما) أن تقع على لا يعقل

قال الإمام السهيلي-رحمه الله-:

"فإن قيلَ: كَيفَ قالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ٣]، ولَم يَقُلْ: مَن أَعبُدُ، وقَد قالَ أَهْلُ العَرَبِيَّةِ: إنَّ (ما) تَقَعُ عَلى مَا لَا يَعقِلُ، فكَيفَ عبّرَ بِها عَن الباري تَعالى؟

فالجَوابُ: أَنّا قَد ذَكَرنا في (ما) قَبلُ أَنَّها قَد تَقَعُ عَلى مَن يَعقِلُ بِقَرينَةٍ، فهذا أَوانُ ذِكرِهَا، وتِلكَ القَرينَةُ: الإبهامُ والمُبالَغَةُ في التَّعظيمِ وَالتَّفخيمِ، وهِيَ في مَعنى الإبهامِ؛ لأَنَّ مَن جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، حَتّى خَرَجَتْ عَن الحَصرِ، وعَجَزَت الأَفهامُ عَن كُنهُ ذَاتِهِ، وَجَبَ أَن يُقَالَ فيهِ: هُوَ ما هُوَ، كَقَولِ العَرَبِ: سُبحانَ ما سَبَّحَ الرَّعدُ بِحَمدِهِ، ومِنهُ قولُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥﴾[الشمس: ٥]، فلَيسَ كَونُهُ عالِمًا مِمّا يُوجِبُ لَهُ مِن التَّعظيمِ ما يُوجِبُ لَهُ أَنَّهُ بَنى السَّمواتِ، ودَحا الأَرضَ، فكانَ المعنى: إنَّ شَيئًا بَناها لَعَظيمٌ، أَو ما أَعظَمَهُ مِن شَيءٍ! فلَفظُ (ما) في هذا المَوضِعِ يُؤْذِنُ بِالتَّعَجُّبِ مِن عَظَمَتِهِ كائنًا مّا كانَ هذا الفاعِلُ لِهذا، فما أَعظَمَهُ. وكَذلِكَ قَولُهُ تَعالى فِي قِصَّةِ آدَمَ : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، ولَم يَقُلْ: لِمَن خَلَقْتُ، وهُوَ يَعقِلُ، لأَنَّ السُّجودَ لَم يَجِبْ لَهُ مِن حَيثُ كانَ يَعقِلُ، ولا مِن حَيثُ كانَ لا يَعقِلُ، ولكِن مِن حَيثُ أُمِروا بِالسُّجُودِ لَهُ، فكائنًا مّا كانَ ذلِكَ المَخلوقُ، فقَد وَجَبَ عَلَيهِم ما أُمِروا بِهِ، فَمِن هاهُنا حَسُنَتْ (ما) في هذا المَوضِعِ، لا مِن جِهَةِ التَّعظيمِ لَهُ، ولكِن مِن جِهَةِ ما يَقتَضيهِ الأَمرُ مِن السُّجودِ لَهُ...، وأَمّا قولُهُ تَعالى : ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ فواقِعَةٌ عَلى ما لا يَعقِلُ؛ لأَنَّهُم كانوا يَعبُدونَ الأَصنامَ، وقَولُهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥﴾ اقتَضاها الإبهامُ، وتَعظيمُ المَعبودِ مَعَ أَنَّ الحِسَّ مِنهُمْ مانِعٌ لَهُم أَن يَعبُدوا مَعبودَهُ كائنًا مّا كانَ، فحَسُنَتْ (ما) في هذا المَوضِعِ لِهذِهِ الوُجوهِ، فبِهذِهِ القَرائنِ يَحسُنُ وُقوعُ (ما) عَلى أُولي العِلمِ"[(١)].

الدراسة:

يرى الإمام السهيلي أن السر في التعبير بـــ (ما) بدل (من) والأصل في (ما) أن تقع على ما لا يعقل هو: الإبهام والمبالغة في تفخيم الله عز وجل وتعظيمه.

** وقد اختلف العلماء في السر في التعبير بـــ (ما) بدل (مَنْ) ههنا على خمسة أقوال:

القول الأول: أن السر في التعبير بـــ (ما) بدل (من) ههنا: الإبهام والمبالغة في تفخيم وتعظيم الله عز وجل، وهو اختيار الإمام السهيلي.

القول الثاني: أن السر في ذلك هو: أن المراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا أنتم عابدون الحق؛ وهو قول فريق من المفسرين[(٢)].

قال الزمخشري: "فلم جاء على (ما) دون (من)؟، قلت: لأن المراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل، ولا تعبدون الحق"[(٣)].

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٣/ ٣٢٣- ٣٢٥.

(٢) الكشاف: ٤/ ٨٠٩، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٣١، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٣، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٨٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١٩، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦١، والدر المصون: ١١/ ١٣٥، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٣٣، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٣، والبحر المديد لابن عجيبة: ٧/ ٣٦٣، وروح المعاني: ١٥/ ٤٨٧.

(٣) الكشاف: ٤/ ٨٠٩.

القول الثالث: أن (ما) مصدرية في الجملتين كأنه قال: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في المستقبل، ثم قال ثانيا: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال؛ وهو قول فريق من المفسرين(١).

قال ابن جزي: "فإن قيل: لم قال ما أعبد بـ (ما) دون (منْ) التي هي موضوعة لمن يعقل؟، فالجواب من ثلاثة أوجه: ...الثالث أن ما مصدرية والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي"(٢).

القول الرابع: أن تكون (ما) بمعنى (الذي)، وحينئذ يصح الكلام؛ وهو قول بعض المفسرين(٣).

قال العكبري: " يجوز أن تكون (ما) بمعنى (الذي)، والعائد محذوف"(٤).

القول الخامس: أنه لما قال أولا: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢]، حمل الثاني عليه ليتسق الكلام، كقوله: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠]؛ وهو قول فريق من المفسرين(٥).

قال الرازي: "لما قال تعالى أولاً ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢]، حمل الثاني عليه ليتسق الكلام، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشورى: ٤٠]"(٦).

الاختيار:

أرى -والله أعلم- أن القول الأول، وهو اختيار السهيلي: أبلغ معنى وأسمى غاية؛ لا سيما وقد أيده بشواهد أخرى من القرآن الكريم، على ما تقدم تفصيله في نصه بما يغني عن إعادته.

وهذا لا يمنع من كون الأقوال الأربعة الأخرى جائزة لغةً ومعنى. والله أعلم

(١) الكشاف: ٤/ ٨٠٩، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٣١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٢٨، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٣، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١٩، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦١، والدر المصون: ١١/ ١٣٥، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٣١، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٣، والبحر المديد: ٧/ ٣٦٣، وروح المعاني: ١٥/ ٤٨٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١٨، ٥١٩.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ٢/ ٨٤٩، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٣١، والتبيان في إعراب القرآن:٢/ ١٣٠٧، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٣، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٨٧، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٠، والدر المصون: ١١/ ١٣٥.

(٤) التبيان في إعراب القرآن:٢/ ١٣٠٧.

(٥) النكت والعيون: ٦/ ٣٥٨، والتفسير البسيط: ٢٤/ ٣٩١، وإعراب القرآن للباقولي: ١/ ٣٩٦، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٣١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٢٨، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٣، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٨٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥١٨، ٥١٩، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٠، والدر المصون: ١١/ ١٣٨، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٣.

(٦) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٣١.

المطلب الرابع
اختياره في المراد بسورة النصر وردُّه على ابن إسحاق

قال الإمام السهيلي-رحمه الله-:

"ذَكَرَ ابن إسحاق[١] سُورَةَ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ وتَفسيرُهُ لَها في الظّاهِرِ خِلافُ ما ذَكَرَهُ ابنُ عَبّاسٍ حينَ سَأَلَهُ عُمَرُ عَن تَأويلِها، فأَخبَرَهُ أَنَّ اللهَ تَعالى أعلَمَ فيها نَبيَّهُ عَلَيهِ السَّلامُ بِانقِضاءِ أَجَلِهِ، فقالَ لَهُ عُمَرُ: ما أَعلَمُ مِنها إلّا ما قُلْتَ.

وظاهِرُ هَذَا الكَلامِ يَدُلُّ عَلى ما قالَهُ ابنُ عَبّاسٍ وَعُمَرُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالى لَم يَقُلْ: فاشكُر رَبَّكَ، واحمَدْهُ، كَما قالَ ابنُ إسحاقَ: إنَّما قالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ٣]، فهذا أَمرٌ لِنَبِيِّهِ عَلَيهِ السّلامُ بِالاستِعدادِ لِلِقاءِ رَبِّهِ تَعالى والتَّوبَةِ إلَيهِ، وَمَعنَاهَا الرّجوعُ عَمّا كانَ بِسَبِيلِهِ مِمّا أُرسِلَ بِهِ مِن إظهارِ الدِّينِ، إذ قَد فَرَغَ مِن ذَلِكَ، وَتَمَّ مُرادُهُ فيهِ، فصارَ جوابُ (إذا) مِن قَولِهِ تَعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[النصر: ١ – ٢]، مَحْذوفًا.

وكَثيراً مّا يَجيءُ في القُرآنِ الجَوابُ مَحذوفاً، والتَّقديرُ: إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتحُ فقَد انقَضى الأمرُ، ودَنا الأَجَلُ، وَحانَ اللِقاءُ، فسَبّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ وَاسْتَغفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّابًا ووَقَعَ في مُسنَدِ البَزّارِ مُبَيّنًا مِن قَولِ ابنِ عَبّاسٍ فقالَ فيهِ: فَقَد دَنَا أَجَلُكَ فسَبّحْ، هَذَا المَعنى هُوَ الذي فَهِمَهُ ابنُ عَبّاسٍ، وَهُوَ حَذْفُ جَوابِ (إذا)، ولَمّا لَم يُتَنَبّهْ لِهذِهِ النُّكتَةِ حُسِبَ أَنَّ جَوابَ (إذَا) في قولِهِ سُبحانَهُ: (فسبح)، كَمَا تَقولُ: إذا جاءَ رَمَضانُ فَصُمْ، ولَيسَ في هذا التَّأويلِ مِن المُشاكَلَةِ لِما قَبلَهُ ما في تَأويلِ ابنِ عَبّاسٍ فَتَدَبَّرْهُ، فقَد وَافَقَهُ عَلَيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَحَسبُكَ بِهِما فَهْمًا لِكِتابِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى، فالفاءُ عَلَى قَولِ ابنِ عَبّاسٍ رابِطَةٌ لِلأمرِ بِالفِعلِ المَحذوفِ، وَعَلى ما ظَهَرَ لِغَيرِهِ رابِطَةٌ لِجَوابِ الشَّرطِ الذي في (إذا)"[٢].

الدراسة:

** اختلِفَ العلماء في المراد بهذه السورة الكريمة على قولين:

القول الأول: أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ إلى آخر السورة: أن الله تعالى أعلم فيها نبيه صلى الله عليه وسلم بانقضاء أجله، وقُرب وفاته؛ وهو اختيار السهيلي، وإليه ذهب جمهور المفسرين[٣].

وحجتهم: ما أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس، قال: (كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا،

---

(١) السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق: ٢/ ٦٣٧.

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٧/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٣) جامع البيان: ٢٤/ ٦٦٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٧٢، وبحر العلوم: ٣/ ٦٣١، وتفسير ابن أبي زمنين: ٥/ ١٧٠، والكشف والبيان: ١٠/ ٣٢٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢/ ٨٤٧٩، والنكت والعيون: ٦/ ٣٦٢، والتفسير البسيط: ٢٤/ ٤٠١، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦/ ٢٩٧، ومعالم التنزيل: ٥/ ٣٢٥، والكشاف: ٤/ ٨١٢، والمحرر الوجيز: ٥/ ٥٣٢، وزاد المسير: ٤/ ٥٠١، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٤٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٢، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٤، ومدارك لتنزيل: ٣/ ٦٩٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥٢٠، ولباب التأويل: ٤/ ٤٩٢، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ٥١٠، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٤٣، والجواهر الحسان للثعالبي: ٥/ ٦٣٥، والسراج المنير: ٤/ ٦٠٣، ٦٠٤، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٢٠٩، والبحر المديد: ٧/ ٣٦٥، وفتح القدير: ٥/ ٦٢٣، ٦٢٥، وروح المعاني: ١٥/ ٤٩١، ومحاسن التأويل للقاسمي: ٩/ ٥٦٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٩٤، ٥٩٥.

وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ)[١].

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ إلى آخر السورة: فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا؛ وهو قول ابن إسحاق[٢].

قال ابن هشام: "قال ابن إسحاق: "وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَرَبَّصُ بِالْإِسْلَامِ أَمْرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا إمَامَ النَّاسِ وَهَادِيَهُمْ، وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَصَرِيحَ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَادَةَ الْعَرَبِ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِلَافَهُ، فَلَمَّا افْتُتِحَتْ مَكَّةُ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَوَّخَهَا الْإِسْلَامُ، وَعَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ، أَفْوَاجًا، يَضْرِبُونَ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر: ١ - ٣]: أَيْ: فَاحْمَدْ اللَّهَ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا"[٣].

ويمكن الاستدلال لهذا القول بحديث عائشة، قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه؛ قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تُكثر قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال: "خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي، فإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْل سُبْحَانَ الله وبحَمْدِهِ، وأَسْتَغْفِرُهُ وأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[النصر: ٢ – ٣]"[٤].

الاختيار:

أرى - والله أعلم - أن كلا القولين جائز، ويصح إرادتهما معا؛ لأنه لا تضاد بينهما، فالسورة الكريمة بدلالة مفهومها جاءت بنعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسه، وهي بدلالة المنطوق علامة على انتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا، وأمرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يكثر حينئذ من قول سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه. والله أعلى وأعلم.

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)، ٦/ ١٧٩، ح(٤٩٧٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٥٦٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٥٦٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الصلاة باب: ما يقال في الركوع والسجود: ح(٤٨٤): ١/ ٣٥١.

المطلب الخامس

اختياره في تفسير قوله تعالى : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد: ١].

السر في في ذكر عبد العزى بن عبد المطلب بكنيته: (أبي لهب).

قال الإمام السهيلي-رحمه الله-:

"أَبو لَهَبٍ اسمُهُ عَبدُ العُزّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، ولَمّا كانَ اسمُهُ كاذِبًا مِن حَيثُ أُضيفَ إلى العُزّى ذَكَرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بِالكُنيةِ دونَ الاسمِ؛ لأَنَّ اللهَ يقولُ الحَقَّ وهوَ يَهدي السَّبيلَ. فإن قيلَ: إنَّ كُنيتَهُ (أَبو لَهَبٍ)، واللَهَبُ ليسَ بِابنٍ لهُ. فالجَوابُ: أَنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَهُ لِلَّهَبِ وإليهِ مَصيرُهُ؛ أَلا تَراهُ قال ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾[المسد: ٣]، والعَرَبُ تُكنّي بِالابنِ وبِما لَصِقَ بِالمُكنّى ولَزِمَهُ، كقَولِ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في عَليّ: أَبو تُرابٍ؛ وفي أَبي هُرَيرَةَ: أَبو هُرَيرَةَ، لِهرَّةٍ كانَت تُلازِمُهُ؛ ولأَنَسٍ: أَبو حَمزَةَ، بَقلَةٍ كانَ يَجتَنيها، وهي الحُرْفُ؛ والعَرَبُ تَقولُ لِلأَحمَقِ: أَبو أدراصٍ، لِلَعبِهِ بِالأَدراصِ، وهيَ جَمعُ (دَرْصٍ)، و(الدَّرْصُ): وَلَدُ الكَلبَةِ أَو وَلَدُ الهِرَّةِ أَو نَحو ذلكَ؛ وتَقولُ لِلذِّئبِ: أَبو جَعدَةَ، و(الجَعدَةُ): الخَروفَةُ، لأَنَّهُ يُحِبُّها ويَطلُبُها، والقُرآنُ نَزَلَ بِلسانِ القَومِ، وكانَتْ كُنيَةُ أَبي لَهَبٍ تَقدِمَةً لِما يَصيرُ إليهِ مِن اللَهَبِ، فكانَ بَعدَ نُزولِ السُّورةِ لا يَشُكُّ مُؤمِنٌ أَنَّهُ مِن أَهلِ النّارِ، بِخِلافِ غَيرِهِ مِن الكُفّارِ؛ فإنَّهُم كانوا يَطمَعونَ في إيمانِ جَميعِهِم إلّا أَبا لَهَبٍ. وامرأَتُهُ هيَ أُمُّ جَميلٍ بِنتُ حَربِ بنِ أُمَيَّةَ، عَمَّةُ مُعاوِيَةَ، واسمُها العَوراءُ"[(١)].

الدراسة:

يرى الإمام السهيلي أن السر في ذكر عبد العزى بن عبد المطلب بكنيته: (أبي لهب)، أن الله خلقه للهب النار، وإليه مصيره ومآله.

** وقد اختلف المفسرون في السر في ذكر عبد العزى بن عبد المطلب بكنيته (أبي لهب) على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه كان مشتهرا بتلك الكُنية دون اسمه، وأريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له، وهو قول ذكره جمع من المفسرين[(٢)].

قال الزمخشري: "إن قلت: لم كنّاه، والتكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما، ولذلك تجرى الكنية على الاسم، أو الاسم على الكنية عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له، ذكر الأشهر من علميه"[(٣)].

القول الثاني: أن الاسم أشرف من الكنية، وأنه كان اسمه عبد العزى، والعزى صنم، ولم يضف الله في كتابه العبودية إلى صنم، وفيه معنى الشرك، فعُدِل عنه إلى كنيته، وهو قول ذكره جمع من المفسرين[(٤)].

---

(١) التعريف والإعلام: ص١٨٨.

(٢) بحر العلوم: ٣/ ٦٣٢، والنكت والعيون: ٦/ ٣٦٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦/ ٢٩٩، والكشاف: ٤/ ٨١٤، وزاد المسير: ٤/ ٥٠٢، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٦، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٩٢، والتسهيل: ٢/ ٥٢١، ولباب التأويل: ٤/ ٤٩٤، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٦، والدر المصون: ١١/ ١٤٣، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٩، والسراج المنير: ٤/ ٦٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٢١٠، والبحر المديد: ٧/ ٣٦٧، وفتح القدير: ٥/ ٦٢٧، وروح المعاني: ١٥/ ٤٩٧، ومحاسن التأويل: ٩/ ٥٦٣.

(٣) الكشاف: ٤/ ٨١٤.

(٤) بحر العلوم: ٣/ ٦٣٢، والكشف والبيان: ١٠/ ٣٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٢/ ٨٤٨٤، والنكت والعيون: ٦/ ٣٦٥، والتفسير البسيط: ٢٤/ ٤٠٩، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦/ ٢٩٩، والكشاف: ٤/ ٨١٤، وزاد المسير: ٤/ ٥٠٢، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٦، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٩٢، ولباب التأويل: ٤/ ٤٩٤، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٦،

قال القرطبي: " وإنما كناه الله بأبي لهب- عند العلماء- لمعان أربعة:
الأول: أنه كان اسمه عبد العزى، والعزى: صنم، ولم يضف الله في كتابه العبودية إلى صنم ..."[١].
القول الثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته، فكان جديرا بأن يذكر بها. ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير. وأبو الخير للخيّر، وهو اختيار السهيلي، وقول جمهور المفسرين[٢].
القول الرابع: لحسنهِ وإشراق وجهه، وتلهب وجنتيه، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به؛ وهو قول ذكره جمع من المفسرين[٣].
قال الثعلبي: "قال مقاتل: كُنّي أبا لهب لحسنه وإشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان"[٤].
الاختيار:
أرى -والله أعلم- أن الأولى بالقبول هو القول الأول، وهو اختيار السهيلي، وجمهور المفسرين، لأنه الأنسب بسياق الآيات، حيث إنها جاءت في ذم أبي لهب وتوعده بالعذاب في النار، والله أعلى وأعلم.

والدر المصون: ١١/ ١٤٣، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٩، والسراج المنير: ٤/ ٦٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٢١٠، وفتح القدير: ٥/ ٦٢٧، وروح المعاني: ١٥/ ٤٩٧.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٦.

(٢) الكشاف: ٤/ ٨١٤، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٧، وأنوار التنزيل: ٥/ ٣٤٥، ومدارك التنزيل: ٣/ ٦٩٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥٢١، ولباب التأويل: ٤/ ٤٩٤، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٦، والدر المصون: ١١/ ١٤٣، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٥٤٩، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٩، والجواهر الحسان: ٥/ ٦٣٦، والسراج المنير: ٤/ ٦٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٢١٠، والبحر المديد: ٧/ ٣٦٧، وفتح القدير: ٥/ ٦٢٧، وروح المعاني: ١٥/ ٤٩٧، ومحاسن التأويل: ٩/ ٥٦٣، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٧٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ٥/ ١٧١، والكشف والبيان: ١٠/ ٣٢٤، والنكت والعيون: ٦/ ٣٦٥، والتفسير البسيط: ٢٤/ ٤١٠، وتفسير القرآن للسمعاني: ٦/ ٢٩٩، ومعالم التنزيل: ٥/ =٣٢٧، والكشاف: ٤/ ٨١٤، ومفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٣٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٥٢١، ولباب التأويل: ٤/ ٤٩٤، والبحر المحيط: ١٠/ ٥٦٦، والدر المصون: ١١/ ١٤٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ٥١٤، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٤٩، وغرائب القرآن: ٦/ ٥٨٩، والسراج المنير: ٤/ ٦٠٦، وفتح القدير: ٥/ ٦٢٧، وروح المعاني: ١٥/ ٤٩٧، ومحاسن التأويل: ٩/ ٥٦٣، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٠١.

(٤) الكشف والبيان: ١٠/ ٣٢٤.

الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى من هذا البحث: " اختيارات الإمام السُّهَيْلي في التفسير في سور "الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد"، دراسة تفسيرية مقارنة"، وتوصلت إلى عدد من النتائج أجملها فيما يأتي:

أولا: الإمام السُّهَيْلي - رحمه الله – عالم متبحر، ومفسر محقق، له نظر ثاقب واستنباط دقيق، وتوجيهات سديدة.

ثانيا: اعتمد السُّهَيْلي في اختياراته التفسيرية على أسس علمية متينة، قوامها حسن التدبر، وعمادها الأدلة المعتبرة.

ثالثا: لم يكتف السُّهَيْلي بما يظهر من جلي معاني القرآن الكريم، وإنما كان غواصا ماهرا يبحث عن اللطائف والدقائق والفوائد.

وأخيرا: أوصي بالآتي:

١- طباعة الرسائل العلمية في اختيارات الإمام السهيلي في التفسير في كتاب واحد؛ ليستفيد منه الباحثون.

٢- دراسة منهج السُّهَيْلي في بيان مشكل القرآن الكريم وغريبه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين

فهرس المصادر:

الإحاطة في أخبار غرناطة: لمحمد بن عبد الله السلماني، ط/ دار الكتاب العالمي بيروت، ١٤٢٤ه.
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
إعراب القرآن المنسوب للزجاج، لأبي الحسن الباقولي، ط/ دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٢٠ هـ.
إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ
أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ.
بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى: ٣٧٣هـ، ط دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
البحر المحيط في التفسير: للإمام أبي حيان، ط/ دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ.
البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن عجيبة، ط/ دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.
البداية والنهاية: لابن كثير، ط/ دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لأحمد بن يحيى أبي جعفر الضبي، ط/ دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦.
تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: لشمس الدين الذهبي، ط/ دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٩٣.
التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية، ط/ دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
تذكرة الحفاظ للذهبي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٩٩٨م.
التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، ط/ دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦هـ.
التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، لأبي القاسم السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
تفسير القرآن العزيز، لابن زَمَنِين المالكي، ط/ الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ٢٠٠٢م.
-تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩هـ.
تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط/ دار طيبة للنشر التوزيع، ١٩٩٩م.
تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، ط/ دار الوطن، السعودية، ١٩٩٧م.
التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ
التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، ط/ دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٩٩٥م.
جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠ م.
الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
الجامع لتفسير الإمام أبي القاسم السهيلي، د/ كيان أحمد حازم يحيى، ط/ المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠١٩.
الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد الثعالبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، ط/ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ط/ دار القلم، دمشق
دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، ط/ مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
ديوان الكميت بن زيد الأسدي، ط/ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ه.
زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢هـ.
السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني، ط/ بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
السيرة النبوية لابن هشام، ط/ مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ١٩٥٥م.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبو الفلاح العكبري، ط/ دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م.
صحيح البخاري للإمام البخاري، ط/ دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
طبقات الحفاظ، للسيوطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٣ه.
غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ.
غريب القرآن لابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، ط: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ.
الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، ط/ دار الزمان، السعودية، ٢٠٠٦م.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام أبي إسحاق الثعلبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
لباب التأويل في معاني التنزيل: للإمام الخازن، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١٥هـ.
اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص بن عادل الحنبلي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
لسان العرب، للإمام ابن منظور الأفريقي المصري، ط/ دار صادر، بيروت، ط/١، بدون تاريخ.
محاسن التأويل: للإمام القاسمي، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للإمام ابن عطية، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٥.
المطرب من أشعار أهل المغرب: لابن دحية الكلبي، ط/ دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥م.
معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، ط/ دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠ هـ.
معجم البلدان: لشهاب الدين الحموي، ط/ دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥م.
معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
مفاتيح الغيب: للإمام الرازي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ.
المفردات في غريب القرآن: للإمام الراغب الأصفهاني، ط/ دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.
النكت والعيون، لأبي الحسن بالماوردي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
نكث الهميان في نكت العميان، للصفدي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، ط/ جامعة الشارقة، الإمارات، ٢٠٠٨ م.